النزعة الإنسانية في الشعر المهجري
(إيليا أبو ماضي أنموذجاً)

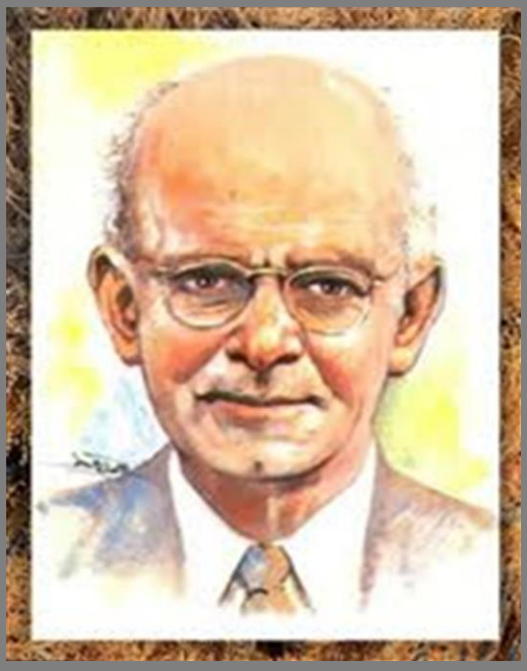

إعداد الطالبة : نور الدسوقي

حلقة بحث في مادة اللغة العربية

إشراف المدرس: محسن حيدر

مخطط البحث

المقدمة: مدخل للحديث عن الشعر وأهميته

الباب الأول : الشعر المهجري خصائصه وشعراؤه

_الفصل الأول : شعراء المهجر

_الفصل الثاني : خصائص الشعر المهجري

الباب الثاني : النزعة الإنسانية في الشعر المهجري

الباب الثالث: إيليا أبو ماضي وشعره

_الفصل الأول: إيليا أبو ماضي

_الفصل الثاني : النزعة الإنسانية في شعر إيليا أبو ماضي

فهرس الصور

الشكل (١)	إيليا أبو ماضي
الشكل (٢)	بيت من أبيات إيليا أبو ماضي
الشكل(٣)	إيليا أبو ماضي

المقدمة

[1]يعتبر الشعر من أرقى أشكال التعبير اللغوي والثقافي و هو من أول الفنون العربية الجميلة التي تستجيب لحاجات النفس البشرية كالرسم والرقص والموسيقى والنحت، و إن الشعر العربي شعر وجداني يصدر عن عواطف الشاعر المبدع ووجدانه وعن انفعالاته ومعاناته الشخصية وتجاربه الذاتية بوصفه إنساناً يحيا ويفكر ، يحس ويتخيل ، وهو إذ يعبر عن ذاته بالكلمة الشفافة و الأسلوب المتفرد الجذاب ،إنما يرسم صورة بذلك للوسط الإجتماعي الذي ينتمي إليه ، ويعيش فيه متحسساً همومه، مستشعراً حاجاته وطموحاته ، وقد يكون الشعر داخلياً ذاتياَ صرفاَ فيعبر فيه الشاعر عما يختلج في نفسه من أحاسيس ومشاعر ومعاناة وتأملات وانفعالات وانتصارات وخيبات وقد يكون الموضوع إنسانياً مما تثيره العوالم الخارجية وحضور الآخرين فتصبح قصائده مفعمة بالأمل والتحفيز على المحبة وفعل الخير والأمل وهذا ما سأدرسه في حلقة بحثي هذه.

وقد تخصصت في حلقتي البحث عن الشعر المهجري الذي كان له أثر كبير على نفوس العرب في العصر الحديث ...

إشكالية البحث : ما هو الشعر المهجري ؟ وما المقصود بالنزعة الإنسانية فيه؟ ولماذا خصصت إيليا أبو ماضي بالنزعة الإنسانية ؟ وما أثر النزعة الإنسانية على الناس؟

[1] كتاب العربي للصف الثاني الثانوي العلمي .

الباب الأول:

الشعر المهجري: شعراؤه وخصائصه

الفصل الأول:

شعراء المهجر:

شعراء المهجر أو مدرسة المهجر هم شعراء عرب عاشوا ونظموا شعرهم وكتاباتهم في البلاد التي هاجروا إليها وعاشوا فيها ويطلق اسم شعراء المهجر عادة على نخبة من أهل الشام وخاصة اللبنانيين المثقفين الذين هاجروا إلى الأمريكيتين (الشمالية والجنوبية) في ما بين ١٨٧٠ حتى اواسط ١٩٩٠ وقد اعتاد الناس تسمية أعضاء الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية بشعراء المهجر بينما في الواقع هناك الكثير من الشعراء المهاجرين الذين لم يكونوا أعضاء في تلك الروابط والنوادي الأدبية.

أدباء المهجر الشمالي:

هم الأدباء العرب الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية و إلى مناطق أخرى من أمريكا الشمالية ، وهم مجموعة الرابطة القلمية و مجموعة من من لم يكونوا في تلك الرابطة ومنهم :

- أمين الريحاني
- نعمة الله حاج

الرابطة القلمية :

تأسست عام١٩٢٠في نيويورك بأميركا الشمالية ، أما كيف ولدت فكرة إنشاء "الرابطة القلمية" فنستطيع الجواب عن ذلك من خلال كلام الدكتور جميل جبر الذي يقول : أنه في الخلوات الحميمة بين أبو ماضي وبين جبران والريحاني و نسيب عريضة وعبد المسيح حداد بدأت تنمو فكرة إنشاء جمعية أدبية تضم نخبة الكتاب اللبنانيين والسوريين التواقين إلى التحرر و التجديد سواء في حقل العمل الوطني أو في حقل اللغة و الأدب أو في حقل المجتمع العربي الغارق في تقاليده المتحجرة في سبيل مواكبة العصر وفي سهرة أحياها عبد المسيح حداد في ٢٠/إبريل/١٩٢٠م دار الحديث عن الأدب ودوره في بث روح جديدة في الأدب العربي وتحريره من الجمود والتقليد واستقر الرأي على تأسيس رابطة أدبية تحمل اسم "الرابطة القلمية" و بعد ثمانية أيام عقد اجتماع ثاني في منزل جبران وتألفت هذه الجمعية وانتخب جبران عميداً لها وأعلنت الثورة على الشعر التقليدي ودعت إلى التجديد في الشعر شكلاً ومضموناً وكان أعضاؤها:

_ جبران خليل جبران

_ميخائيل نعيمة

_ إيليا أبو ماضي

_ نسيب عريضة

_ رشيد أيوب

_ عبد المسيح حداد

_ ندرة حداد

_ ليث سعيد اغريب

_ أمين مشرق

أدباء المهجر الجنوبي :

هم من هاجر إلى مناطق أميركا الجنوبية كالبرازيل والأرجنتين و المكسيك وفنزويلا و أسس مجموعة من الأدباء هناك بما سمي بالعصبة الأندلسية عام ١٩٣٢ في البرازيل وهي أميل إلى المحافظة على القديم ، ودعم الصلات بين الشعر القديم و الحديث ،أسسها ميشيل معلوف .

ومن الذين شاركوا في هذه العصبة :

- ميشيل نعمان معلوف
- رشيد سليم
- الياس فرحات
- شكر الله الجر
- توفيق قربان
- نضير زيتون
- عمر عبيد
- يارا الشلهوب
- فوزي المعلوف
- شفيق المعلوف
- عقل الجر
- جرجس كرم
- اسكندر كرباج
- مهدي سكافي
- سلمى صائغ

الفصل الثاني

خصائص الشعر المهجري :

أولاً: من حيث المضمون .

١_ النزعة الإنسانية :

وهي النظرة إلى المجتمع كله نظرة حب ورحمة ، والرغبة في أن يعم الخير على الجميع ، و أن تنتشر بين الناس المبادئ السامية المبنية على الحب وتهذيب نوازع النفس الشريرة.

٢_ النزعة التأملية :

اتجه أدباء المهجر إلى دخيلة أنفسهم يتأملون فيها فراراً من صخب الحياة التي تحاصرهم . كما توجهوا إلى الطبيعة و تأملوا في مظاهرها وشخصوها ككائن حي ليعبروا عما يجيش في نفوسهم من أحاسيس .

٣_ الحنين إلى الوطن :

يكثر في شعر المهجريين مشاعر الحنين إلى الوطن الأم ، ويتألمون لما يصيبه من كوارث والسبب في ذلك شعورهم بالغربة وهم بعيدون عن أوطانهم .

٤_ الحزن :

إن شيوع ظاهرة الحزن في الشعر المهجري يعود إلى طول أيام الشاعر بالغربة . واشتياقه إلى و طنه وأهله . و إحساس المهاجر إحساساً حاداً بالزمن.

ثانياً : من حيث الشكل والمضمون .

١ _ الوحدة العضوية :

المتمثلة في وحدة الموضوع ووحدة الجو النفسي ، و ترتيب الأفكار والصور في بناء متماسك . وتظهر أكثر في الشعر القصصي كالحجر الصغير والتينة الحمقاء لإيليا أبو ماضي .

٢ _ التعبير عن تجربة شعورية ذاتية :

يكون الشاعر المهجري قد مر بها في غربته ، ويظهر عمق التعبير عن هذه التجربة عندما تمتزج مشاعرهم بالطبيعة فنرى طبيعة جديدة كأننا لا نعرفها من قبل.

٣ _ اللجوء إلى الرمز

لما له من دلالات لا تنضب . والرمز معناه أن يتخذ الشاعر من الأشياء الحسية رموزاً لمعنويات خفية .

٤ _ التحرر من الوزن والقافية :

فقد جدد المهجريون في قالب القصيدة ، و اتبعوا نظام المقطوعات ، كما اتجه بعضهم إلى شعر التفعيلة .

٥ _ السهولة والوضوح في اللغة والأساليب والتسامح في بعض الأحيان في قواعد اللغة.

٦ _ الإكثار من استخدام الشكل القصصي في القصيدة

كما هو الحال في شعر إيليا أبو ماضي .

الباب الثاني

النزعة الإنسانية في الشعر المهجري

حظي الشعر المهجري بعناية الدارسين ونقاد الأدب العربي و مازال كذلك ولهذا الأدب محبوه ومتذوقوه فقد كان فتحاً في أدبنا الحديث ، فتح عيوننا على مباهج الحياة وروعة المغامرة و إغراء الحرية بعد ان ظل أدبنا أحقاباً طويلة نائماً في مغارة التاريخ مغمضاً عينيه عن مستجدات الحياة مكتفياً بالاجترار من الكتب القديمة ، وقد حمل الشعر المهجري صرحاً جديداً من الأدب الخلاق المتميز بصدق الشعور ونزعة التجديد و الغيرة على حاضر الأمة ومستقبلها وهذا غير ما حمله من قيم إنسانية.

ومثال على القيم الإنسانية هذه الأبيات للشاعر ندرة حداد المغترب في أمريكا وما احتوته من تسامح ومغفرة و إنها لكنوز أخلاقية حقيق بنا أن نتمثلها في الحياة أحسن تمثيل :

راض بالعصا يا أيها الحامل رمحك

و سأرضى أنا خبزك ال أسود في الحب وملحك

و سأنسى جرح قلبي كلما شاهدت جرحك

و إذا أخطأت نحوي فأنا أطلب صفحك

ونفس النزعة نزعة التسامح في هذه الأبيات للشاعر مسعود سماحة المغترب في أمريكا تصدر عن الحب المحض للإنسانية :

كأني لم اترك للغير شؤونه كأني عالجت غير شؤوني

و كم من صديق لم أخنه فخانني و مؤتمن قد بات غير أمين

إذا جزت سهلاً في الزمان فإنما ستسري بوديان به وحزون

و أيضاً للشاعر ميخائيل نعيمة قصيدة رائعة طافحة بالمعاني الإنسانية النابذة للحرب الداعية إلى الأخوة والتسامح و هي من قبيل الشعر المهموس كما وصف

هذا اللون من الأدب بسهولة الولوج إلى القلب مباشرة ويستقر في قراراته محولاً سلوك الإنسان إلى سعي حثيث نحو معارج الإنسانية الحقة ، يقول نعيمة :

أخي إن ضج بعد الحرب غربي بأعماله

و قدس ذكر من ماتوا و عظم بطش أبطاله

فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانا

بل اركع صامتاً مثلي بقلب خاشع دام

لنبكي حظ موتانا

ونلاحظ استهلال الشاعر بكلمة أخي فقد استهل الشاعر بها في كل مقطع من مقاطع القصيدة ، وما تفعله في قلب القارئ عربياً كان أو أعجمياً.

و أما الثورة على الظلم والتنديد بالطبقية فقد كتب عنه الكثير من الشعراء المهجريين وخصوصاً أن الشعراء المهجريين قد هربوا من ظلم العثمانيين وبطشهم وقد آلمهم ما تركوا أوطانهم عليه من جور و فساد و امتصاص الأقوياء لدماء الضعفاء وانتشار الفساد و الإقطاع و قد أمدهم وجودهم في العالم الجديد بمعاني العدالة الاجتماعية و المساواة والكرامة الإنسانية وبزاد وفير منها . وقد امتد نقدهم حتى إلى المجتمع الأمريكي ذاته ، وخير أديب ندد بذلك هو الشاعر أمين الريحاني حين فضح استغلال البيض للسود و تردي إنسانية الإنسان بهذا الانتهاك الصارخ للكرامة البشرية في بلد تغنى بالحرية ،

وفي مطولة الشاعر " على بساط الريح " للشاعر فوزي المعلوف الذي قضى في ريعان العمر تنديد بهذه المظالم ، يقول فوزي:

أنا عبد الحياة و الموت أمشي مكرها من مهودها لقبوره

عبد ما ضمت الشرائع من جور يخط القوي كل سطوره

بيراع ، دم الضعيف له حبر و نوح المظلوم صوت صريره

و شارك الشاعر شفيق المعلوف أخاه فوزي هذه الخصيصة فقد كتب حتى عن الفلاح الذي رأى على وجهه النور ولم يره على جبين السلطان ، ومن أبيات القصيدة :

وفي الحياة ديونها كرما وما وفيت ديونه

عرق الجهاد همى على عينيه فانطبقت جفونه

هلا نظرت جبينه كم فيه لؤلؤة تزينه

ضنت عليه بالدموع عيونه فبكى جبينه

و أما الحرية فهي من أهم القيم التي يؤدي غيابها إلى عبثية الوجود بل عدميته ، وهي قيمة تستحق أن يضحي لأجلها الإنسان ، وقد أخذت من اهتمام أدباء المهجر الكثير وما لجأوا إلى العالم الجديد إلا لأجلها و هروباً من أغلال الاستبداد و القيود ، وكما قال نعمة قازان المغترب بالبرازيل:

هي النفس تحيا بإحساسها و ليس على الحس من قدرة

ربيت طليقا على فطرتي و ما أحيلى طفولتي

و أيضاً قال الشعر السوري نسيب عريضة المغترب في أمريكا يخاطب وطنه :

مشت القرون وكل شعب قد مشى معاً ، وقومك واقفون ونوم

لم ترتفع كف لصفعة غاشم فيهم ولم ينطق بتهديد فم

وقال الشاعر القروي :

أنت حر فاستوطن البلد الحر و صاحب من أهله إخوانا

مثلك الكون والزمان فلا تلح مكانا ولا تسب زمانا

ليس في قضمك الحديد هوان إن في بثك الشكاة هوانا

و أيضاً الشاعر الدكتور أحمد زكي أبا شادي ما كانت هجرته إلى أمريكا إلا رحلة بحث عن الحرية في وطن جديد اتخذ للحرية تمثالاً ضخماً في مرفأ مدينة نيويورك،

لجأت إليك يا وطن تغنى به الأحرار و اعتز النشيد

فإنك منبري الحر المرجى و بدء نهاري بالعمر جديد

و أيضاً هناك هذه التأملات الشعرية و ما تنطوي عليه من معاني إنسانية تبحث عن الحرية الكاملة و نبالة الحس سنظن أولاً أنها ثمرة فكر وقاد وبصيرة ثاقبة ولكن سنكتشف أنها لشاب مات يافعاً في الثلاثين من عمره وهو فوزي المعلوف ،

بين روحي وبين جسمي أسير كان بعد ذقت مره

أنا في التراب وهي فوق الأثير أنا عبد وهي حرة

عبد عصر من التمدن نلهو ظلة عن لبابه بقشوره

عبد اسمي أذيب نفسي وجسمي طمعا في خلوده و ظهوره

عبد حبي جعلت قلبي مأوا فأضرمت أضلعي بسعيره

وأيضاً الأمل والحب في شعر فوزي المعلوف كما في الأبيات التالية :

[٢]نحن في شهر الهوى شهر الأمل

نحن في نيسان

كل ما في الأرض ما في الجلد يستثير الوجد ، يستدعي الهوى

حرقة النجم ، أنين الزبد نفحة الزهر وأنفاس الهوى

وأيضاً جبران خليل جبران كان يبعد التشاؤم عن نفسه باختيار نفسه صديقاً له :

[٣](لي من نفسي صديق يعزيني إذا ما اشتدت خطوب الأيام ، ويؤاسيني عندما تلم مصائب الحياة ، ومن لم يكن صديقاً لنفسه كان عدو الناس ، ومن لم ير مؤنساً من ذاته مات قنطاً ، لأن الحياة تنبثق من داخل الإنسان ، ولن تجيئ مما يحيط به)

وكما يوجد الكثير من القيم الأخرى لكن اكتفيت بهذه.

---

[٢] ديوان فوزي المعلوف

[٣] المجموعة الكاملة جبران خليل جبران ص٣٣٤

الباب الثالث : إيليا ابو ماضي وشعره

الفصل الأول:

إيليا أبو ماضي

الشكل (١)

الشاعر إيليا أبو ماضي ولد شاعر المهجر الأكبر في قرية المحيدثة في قضاء المتن الشمالي للبنان وهي أحد القرى الهادئة المعلقة بأقدام الجبل تحيط بها أشجار الحور و الصفصاف من كل جانب ، في هذه الطبيعة فتح إيليا أبو ماضي عينيه على الحياة سنة ١٨٩٠ وقد دخل إيليا مدرسة المحيدثة القائمة في جوار الكنيسة و بين صفوفها أخذ يفك لغز الحرف و طلسم الكلمة من دون أن يعرف أحد أنه سوف يصبح شاعر عظيم تنطلق من حنجرته وقلمه أجمل القصائد الشعرية ، تعلم أبو ماضي في قريته

أصول الكتابة و القراءة باللغة العربية ولما ضاقت به سبل العيش وجد أن لا مناص له من السفر فحزم أمتعته و قرر الرحيل، ورحل إلى الاسكندرية بمصر عام ١٩٠٢ ، وعمل في بيع السجائر والدخان ، وكان يوفر من دخله البسيط ليقتني الكتب وعكف على دراسة الصرف و النحو حتى استقامت لغته و أصبح قادراَ على التعبير عن انفعالاته و أحاسيسه و صبها بوتقة شعرية جميلة . وتشاء الظروف أن يلتقي إيليا مصادفة بأنطون الجميل في دكان عمه للتبغ ، وكان الجميل قد أنشأ مع أمين تقي الدين مجلة الزهور فأعجب بعصاميته و ذكاءه إعجاباً شديداً ودعاه إلى الكتابة بإشرافه ، فأخذ ينظم بواكير شعره و يعرضها على الجميل لتنقيحها ثم نشرها في مجلة الزهور، و كانت اولى قصائده التي نشرت في مجلة الزهور هي قصيدة تروي قصة فتاة صغيرة زوجها اهلها قسراً من رجل كبير السن فعاشت معه حياة شقية بائسة وقضت حياتها سجينة التقاليد لا تستطيع منه فكاكاً و قد جاء في قصيدته هذا البيت الجميل : إنما الغصن إذا هب الهوا.... مال للأغصان لا للحطب، وبقي أبو ماضي على حاله ينظم وينشر الشعر في هذه المجلة حتى جمع قصائده في ديوان أسماه " تذكار الماضي" وقد صدر عام ١٩١١عن المطبعة المصرية ، وكان أبو ماضي آنذاك يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً. وانتقل أبو ماضي من الشعر في الموضوعات الإجتماعية إلى الموضوعات السياسية والوطنية وجند قلمه في خدمة القضايا العربية وفي طليعتها المناداة باستقلال مصر عن الاحتلال الانجليزي و تحرير الأراضي العربية و لم يرهبه أساليب القمع و التهديد وانطلقت قصائده صاخبة مزمجرة ينشرها في الصحف هنا وهناك ليزيد النقمة على الإستعمار ، ولكن بدأ يشعر أن وجوده في مصر لن يحقق له ما يصبو إليه ، ويقول الأستاذ أنيس المقدسي أن سبب ترك الشاعر لمصر وهجرته إلى الولايات المتحدة إلى أنه لم ينجح في عمله في الديار المصرية بالإضافة إلى أن نقد النقاد وتجريحهم له قد يكون من جملة الدوافع التي دعته إلى هجر وادي النيل والسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليجرب حظه هناك كما فعل الألوف من بني قومه وجلدته .هاجر إلى أمريكا عام ١٩١٢ واتخذها مهجراً . ولذلك فهو من شعراء المهجر، و رست السفينة التي كانت تقله عام ١٩١٢ في مدينة سنسناتي بولاية أوهايو حيث أقام فيها مدة أربع سنوات عمل فيها بالتجارة مع اخيه البكر مراد ، وعزم على أن يطلق الشعر لأنه لم يورثه إلا الفقر ولم يجلب له إلا الفاقة ، وانقطع فعلاً عن الكتابة مدة من الزمن إلى ان عاوده الحنين إلى النظم ، وأخذ ينشر منظوماته المتنوعة في شتى الصحف و المجلات التي كانت معروفة آنذاك في عالم الاغتراب ، ثم انتقل أبو ماضي إلى مدينة نيويورك عام ١٩١٦ آملاَ في تحسن وضعه المعيشي ، وقد تحول فيها من حقل التجارة إلى حقل الصحافة والأدب وأخذ يمارس النشاط الأدبي حتى آخر أيام حياته ، ودعته جمعية الشباب العربي الفلسطيني إلى تولي رئاسة تحرير

"المجلة العربية" التي كانت تصدر في نيويورك فلبى طلبها ، وكانت هذه المجلة لسان حال الشباب العربي في تلك البلاد ، وماهي إلا فترة حتى أسهم في تحرير مجلة "الفتاة" التي كان يصدرها "شكري البخاش" كم أسهم في تحرير مجلة "مرآة الغرب" التي كان يصدرها " نجيب دياب " و الذي تزوج أبو ماضي من ابنته فيما بعد ، وقضى فيها عشر سنوات كاتباً و منقحاً مصححاً . وبعد ثلاث سنوات من انتقاله إلى نيويورك أصدر الجزء الثاني من ديوانه وكانه اعتبر أن ديوانه " تذكار الماضي " الذي اصدره في مصر هو الجزء الأول من ديوان شعره و في هذا الديوان الجديد الذي صدر بعنوان "ديوان إيليا أبو ماضي" قصيدة يتألم فيها على تركه مصر التي كانت ملعب صباه ومرتع شبابه :

[٤]ليس الوقوف على الأطلال من خلقي ولا البكاء على ما فات من شيمي
لكن مصراً وما نفسي بناسية مليكة الشرق ذات النيل و الهرم

أتيح للشاعر أن يتعرف أيضاً في هذه المدينة إلى نخبة من أدباء المهجر أمثال جبران خليل جبران و ميخائيل نعيمة وغيرهم من رجال الفكر وحملة القلم . وقد كان إيليا عضواً من أعضاء الرابطة القلمية وعندما صدر العدد الأول من مجموعة الرابطة القلمية سنة ١٩٢١ كان لأبو ماضي خمس قصائد وفي جو هذه الرابطة لمع أبو ماضي كشاعر ممتاز و ذاع صيته في العالم العربي كله . [٥]وتوفي أبو ماضي عام في الثالث و العشرين من شهر نوفمبر ١٩٥٧ في نيويورك تاركاً في قلوب أخواته وأصدقائه حسرة وفي صدور قارئي ما يسكبه قلمه غصة وانطوت بموت هذا الشاعر الفريد صفحة مشرقة بالرجاء والأمل ويروي الناقد المصري راضي صدوق أن أرملته حرصت وهي عربية لبنانية على قطع صلة اولادها باللغة العربية بعد موت والدهم .. ويعتبر إيليا أبو ماضي من أهم شعراء المهجر في أمريكا الشمالية . ومن المميزات في أسلوبه الشعري هي وحدة الموضوع و شدة الارتباط بين أجزاءها وعناصرها بالإضافة إلى الفكرة الموحدة ، لذلك وضع عناوين لقصائده تناسب ما تناولته القصيدة . كما أنه أحدث تجديداً في الكلمة الشعرية . وجعلها تتسع لمضامين الحياة الاجتماعية والفكرية والنفسية من غير أن تخرج من إطار البساطة والوضوح وقد لجأ إلى الرمز للتعبير عن أفكاره حيث اتخذ من عناصر الطبيعة رمزاً لبعض الأفراد وخاصة في قصيدتيه (الحجر الصغير) و (التينة الحمقاء) و جنح إلى التفكير و التأمل في الحياة والكون ، ودعا إلى التفاؤل و التمتع بجمال الحياة . نشر أبو ماضي في حياته أربع دواوين وهي "تذكار الماضي" و "ديوان إيليا أبو ماضي " و " الجداول " و " الخمائل " و أعد للطبع

---

[٤] ديوان إيليا أبو ماضي
[٥] كتاب إيليا أبو ماضي باعث الأمل ومفجر ينابيع التفاؤل

ديوانه الخامس " تبر وتراب" . وقد اشتهر إيليا أبو ماضي بالتفاؤل وحب الحياة والإيمان بجمالها . ودعا الناس إلى الأمل ، كما دعا إلى المساواة بين الغني و الفقير. ومن أشهر قصائده "قصيدة الطين " و "فلسفة الحياة " .

وقد قال إيليا أبو ماضي في الهجرة :

[٦]أرض آبائنا، عليك سلام و سقي الله أنفس الآباء

ما هجرناك إذا هجرناك طوعاً لا تظني العتوق في الأبناء

شردت أهلك النوائب في الأر ض ، وكانوا كأنجم الجوزاء

وإذا المرء ضاق بالعيش ذرعاً ركب الموت في سبيل البقاء

[٦] بين الشرق والغرب إيليا أبو ماضي ص٢٤

الفصل الثاني:

النزعة الإنسانية في شعر إيليا أبو ماضي

عشق الطبيعة

كان إيليا من اكثر الشعراء حباً للطبيعة ، وقد انعكس جمالها على جمال نفسه وصفاء سمائها على صفاء ألحانه و انعكست عذوبة مائها في عذوبة ألفاظه و دقة نواميسها في دقة ملاحظاته و كأن الطبيعة شعرت بصدق حبه لها فباحت له بأسرار سحرها ، وأباحت له صوغها شعراً .

كان أبو ماضي يرى في كائنات الطبيعة الأصدقاء الأوفياء له إذ كان كلما بث شكواه يجد عندهم آذاناً صاغية وقلوباً مفتوحة و كثيراً ما كان يلتقي بأصدقائه هؤلاء إما في أماكنهم المعتادة في البرية ، أو في منزل أحد الرفاق و الأقرباء . وقد فجعت عيناه ذات يوم برؤية زهرة مسجونة في إناء في إحدى الصالونات الفخمة فتألم كثيراً لرؤيتها لأنه لم يمن باستطاعته أن يخلصها من سجنها وعذابها فأنشد :

[٧]لعمرك ما حزني لمال فقدته ولا خان عهدي في الحياة حبيب

و لكنني أبكي و أندب زهرة جناها ولوع بالزهور طروب

رآها يحل الفجر عقد جنونها ويلقي عليها تبره فيذوب

وينفض عن أعطافها النور لؤلؤاً من الطل ما دمت عليه جيوب

وكان يرى في الروابي جمالاً ومهابةً ، وفي خرير الجدول المنساب جذلاً وحبوراً ، وفي المرج الخطيب بشاشة وابتسامة ، وفي الوادي العميق شعور بالحزن و الكآبة وكلما أرخى الليل سدوله على الكائنات، كانت عيناه تبصران ما فيها من جمال . وقد آل على نفسه أن يكون رسول الطبيعة إلى البشر ليدلهم على مواطن الجمال فيها وليحبب إليهم العيش في أحضانها و التقرب من كائناتها.

[٧] ديوان ايليا أبو ماضي ص ١٣٠

وفي قصيدته الفراشة المحتضرة يتحسس إيليا هموم الفراشة ، وبلادة شعور وفهم الإنسان لأحاديث الطبيعة ذات البعد الجمالي فكيف لا يفهم الإنسان نجوى الفراشة المحتضرة ، ولنرى إيليا ماذا استشفت مرآته من شكوى الفراشة عند شباكه ، يقول:

[٨]لو كان لي غير قلبي عند مرآك لما أضاف إلى بلواه بلواك

فيم ارتجاجك هل في الجو زلزلة أم أنت هاربة من وجه فتاك ؟

وكم تدورين حول البيت حائرة بنت الربى ليس مأوى الناس مأواك

قالوا فراشة حقل لا غناء بها ما أفقر الناس في عيني وأغناك!

أبو ماضي والحب

قد عاش أبو ماضي في حياته قبل الزواج العديد من تجارب الحب و كانت أقواها تجربته مع محبوبته هند التي كادت تصيب منه مقتلاً ، جاعلةً منه أحد الشعراء العشاق الكبار الباكين على فراق المحبوبة الظالمة ، المتألمين جراء صدها المتعمد لهم .

وقد ظل ابو ماضي فترة غير قصيرة مصدقاً ما قالته المحبوبة له وهو يعيش أسعد أيامه لأنه كان يقضيها بقربها وفجأة وجدها تتخلى عنه ، تاركة إياه يندب فراقها. فيقول:

[٩]إنما تلك أخلفت قبل ليلين من موعدي

لم تمت لا وإنما اصبحت في سوى يدي

محبوبته هذه جعلها عروسة قصيدته الدالية وهي نفسها محبوبته هند التي جعلها عروسة قصيدته "الغابة المفقودة" حيث يحدثنا عن تلك الأيام العذبة الجميلة ، والرحلات التي قام بها مع محبوبته قبل أن تصبح في "سوى يده" فيقول:

[١٠]" يا لهفة النفس على غابة كنت و هنداً نلتقي فيها

أنا كما شاء الهوى والصبا وهي كما شاءت أمانيها

[٨] ديوان إيليا أبو ماضي ص٥٢٢
[٩] ديوان إيليا أبو ماضي ص٢٧٠
[١٠] ديوان إيليا أبو ماضي ص٨٠١_٨٠٢

نباغت الأزهار عند الضحى متكآت نواحيها

لله في الغابة أيامنا ما عابها إلا تلاشيها

طوراً علينا ظل أدواحها وتارة عطف دواليها

وتارة نلهو بأعنابها وتارة نحصي أقاحيها

وأن تضاحكنا سمعنا الصدى يضحك معنا في أقاسيه "

نبذ الطائفية

لقد لاحظ أبو ماضي أن الناس حوله على خلاف ديني مستمر وحتى ضمن الدين الواحد ووجد أن المذاهب المتعددة والطوائف المختلفة كل مذهب يمجد مبادئه ويدحض مبادئ الآخر ، والناس في خضم هذه الفوضى الفكرية .

وهذا الخلاف والتناحر الديني زرع في أبو ماضي بذور الشك بالأديان والمتدينين الأمر الذي جعله يتخطى الطوائف المختلفة فقاده فكره إلى الإيمان بإله واحد آمن برب واحد حكيم خلق هذا العالم ورتبه ونظمه إنه إله المحبة الشامل الذي من المفترض أن يكون الإنسان على شاكلته مفعماً بالحياة فالمحبة تنير وتجمع الشتات الإنساني في حين أن الكره والبغض يمزق الوحدة الإنسانية ، يقول شاعرنا:

[١١]"أحبب فيغدو الكوخ كوخاً نيراً

ما الكأس لولا الخمر إلا زجاجة

كم روعوا بجهنم أرواحنا

ليست جهنم إلا فكرة تاجر"

الدعوة إلى الفرح

كان إيليا أبو ماضي من أكثر الشعراء الذين يحثون على الفرح مهما كانت الظروف والابتسام ولعل خير مثال على ذلك قصيدة ابتسم التي كلها دعوة للابتسام والتفاؤل مهما كانت الظروف :

[١٢]قال السماء كئيبة ! وتجهما قلت: ابتسم يكفي التجهم في السما !

[١١] ديوان إيليا أبو ماضي ص٦٥٨

قال: الصبا ولى! فقلت له: ابتسم لن يرجع الأسف الصبا المتصرما !

قال: التي كانت سمائي في الهوى صارت لنفسي في الغرام جهنما

خانت عهودي بعدما ملكتها قلبي ، فكيف أطيق أن أتبسما !

قلت : ابتسم و اطرب فلو قارنتها لقضيت عمرك كله متألماً

_ من الأبيات التي تدل على تحلي أبو ماضي بالمبادئ الإنسانية والاعتصام بمبدأ التسامح والتفاني للناس والإنسانية ، وهذه بعض الأبيات من قصيدة أنا:

[١٣]إني إذا نزل البلاء بصاحبي دافعت عنه بناجذي وبمخلبي

و شددت ساعده الضعيف بسا عدي وسترت مكنبه العري بمكنبي

وأرى مساوئه كأني لا أرى و أرى محاسنه كأن لم تكتب

و ألوم نفسي قبله إن أخطأت وإذا أساء إلي لم أعتب

_و أيضاً قصيدة كن بلسما التي يوصي الشاعر الإنسان بالصبر والتسامح والطيبة والمعاملة الحسنة :

[١٤]كن بلسما إن صار دهرك أرقما و حلاوةً إن صار غيرك علقما

_[١٥]إن إيليا أبو ماضي هو ممثل لنظرة التفاؤل في الشعر المهجري فهو يعتبر أن الإنسان هو الذي ينغص عيشه بيديه فالذي كانت نفسه جميلة سليمة فالحياة في عينه بهيجة ، فيقول خطاباً إلى الشاكي من الحياة وآلامها وأحزانها :

[١٦]أيهذا الشاكي وما بك داء كيف تغدو إذا غدوت عليلاً

إن شر الجناة في الأرض نفس تتوقى قبل الرحيل الرحيلا

والذي نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً

---

[١٢] ديوان أبو ماضي _ دار العودة _ بيروت
[١٣] ديوان إيليا أبو ماضي
[١٤] ديوان إيليا أبو ماضي ص٢٥٧
[١٥] الدراسات في الشعر ضيف شوقي ص٢٧٠
[١٦] ديوان إيليا أبو ماضي _قصيدة فلسفة الحياة _ ص٦٠٤

هو عبء علي الحياة ثقيل من يظن الحياة عبئاً ثقيلا

أيهذا الشاكي وما بك داء كن جميلاً ترى الوجود جميلا

الشكل (٢)

ومن خلال دواوينه وجدنا أن التفاؤل و الأمل نزعة إنسانية عميقة الجذور متأصلة في نفس الشاعر ، قد قال :

[١٧]إذا أنا لم أجد حقلاً مربعاً خلقت الحقل في روحي وذهني

[١٧] الخمائل ص٢٨

الخاتمة

الشكل (٣)

لقد خصصت في بحثي هذا الشعر المهجري بالتحديد بسبب ما تركه من آثار في نفوس الناس وخاصة مشاعرهم كحنين الشعراء إلى أوطانهم التي خلدت في أشعار لا يمكن نسيانها، وأيضا قد حددت النزعة الإنسانية بسبب اشتهار الشعر المهجري بهذه النزعة ولاسيما الشاعر إيليا أبو ماضي الذي أثر شعره الإنساني في الناس تأثيراً كبيراً وخاصة أبياته التي تحض الناس على التفاؤل وترك الحزن ونسيان الهموم ذات لمسة عذبة على النفس وأتمنى أن اكون قد شرحت شرحاً وافياً في بحثي.

المراجع

- كتاب اللغة العربية الثاني الثانوي علمي
- ديوان فوزي المعلوف
- المجموعة الكاملة لجبران خليل جبران
- ديوان إيليا أبو ماضي
- كتاب إيليا أبو ماضي باعث الأمل ومفجر ينابيع التفاؤل، للدكتور عبد المجيد الحر ، دار الفكر العربي
- بين الشرق والغرب إيليا أبو ماضي
- الدراسات في الشعر _ ضيف شوقي
- ديوان إيليا أبو ماضي للكاتب
- ديوان الخمائل

الفهرس

_ المقدمة.....(٣)

_ الباب الأول :

الفصل الأول.....(٤)

الفصل الثاني.....(٧)

_ الباب الثاني.....(٩)

_الباب الثالث :

الفصل الأول .....(١٣)

الفصل الثاني .....(١٧)

الخاتمة: الاستنتاجات والرأي .....(٢٢)